Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حدث مع شخصية محمود الذى أصيب بنوبة عصبية بسبب مخاوف سياسية ، غير أن القبطان قرر بلغة الخبير بالبحر « حالما يهدأ البحر ثانية ، ستجدون أن مريضنا قد تعافى » .

ولحظة هياج البحر هى لحظة الميلاد الجديد للإنسان خالياً من كل هموم الماضى التى تغرق فى الحاضر وكله توق لمستقبل . فعبر المعاناة الصعبة مع العاصفة وتلوى الأمعاء وتقيؤ البطون لا يبقى سوى الحاضر والمستقبل : « لقد أضحى المستقبل لكل مسافر أهم من الماضى » ، فـ « هياج البحر تجربة رهيبة من تجارب النسيان : إقحام فى اللحظة الراهنة وقد اضمحل كل ما حولها ، تتحول المعدة فيها إلى حضور بغيض شكس ، ينسحب له الدم من الرأس ويفرض على الذ ين غيبوبة يعيها فى الوقت نفسه وعياً حادا كريهًا . غير أن هناك من يتغلب على البحر : تراه يمشى منتصبًا – فى الواقع مائلا – والسفينة تخفض رأسها وترفع ذيلها ، لترفع رأسها وتخفض ذيلها والموج الأبيض يخبط خبطًا عاتيًا وينفجر كالحمم على الجانبين ، يضرب الوجه مهما توقاه برذاذ حاد كالإبر ، ويتراجع مخلفًا على أخشاب السفينة مياهًا تنساب صفراء كالحة فقاقيعها فى غليان ماكر »[٢٠]

ويفرد جبرا إبراهيم جبرا صفحات كثيرة للحديث عن هياج البحر وتأثيره فى السفينة وركابها ، من شخصيات الرواية المصابين بدوار البحر والمترنحين بفعل ثورة البحر الصاخبة المؤرجحة للسفينة ولكل ما عليها من بشر وأشياء . ولعل أجمل فصول الرواية تلك التى خصصها الروائى لتصوير أثر دوار البحر وهياجه فى شخصيتى الحبيبين عصام السلمان « ولى » وعندما يقتحم عصام قمرتها فى السفينة يقول عصام : « يا للمهزلة . لا تتاح الفرصة ، إلا وكلانا أشبه بخرقة مبلولة » . ومع ذلك فإنه يهتف عندما يجدها مستلقية على سريرها فى منامتها « لو تعرفين ما أجملك ؟ » فتؤجل اللقاء إلى أن يهدأ البحر . وهنا يتحول البحر إلى خصم حقود لعصام وحبه ، كما يصفه قائلا : « من النافذة رأيت البحر يهبط فى خط مقعر هائل ، ثم ينتفخ ويتعاظم ليصدم السفينة بثقله كله ، راشقا زبده الفائر على الزجاج ، مطوحًا بها بحقد لئيم » .

السفينة رواية يحق أن توصف بأنها كتاب الحياة الوحيد المشرق ، كما يصف د. هـ . لورنس الرواية ، فهى تستوعب الحياة بأوسع معانيها واقعيًّا وروحيًّا ، البحر والطبيعة وهموم

---

(٢٠) المصدر السابق ، ص ١٤٨ .